العبودية لله سبحانه و تعالى

**بسم الله الرحمن الرحيم**

و من لا يريد هدايته يجعل صدره ضيقا كانما هو مجبور و بضم الايات الاخرى المعنى ليس بهذه السور الظاهرة وإنما هو ارادة من الله سبحانه و تعالى لا تتعارض مع ارادة العبد فليس هناك جبر على الهداية وليس هناك تفويض بها ولا بعكسها، من كان مهتديا متقيا في نفسه أراد الهداية هداه الله

"ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" في نفسه إرادة للتقوى والله يهديه الى السبيل و من كان ضالا وفي قلبه المرض "في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا"

هو نفسه لا يريد الخير لا يريد الهداية فيأتي ضلال على ضلال.

حديثنا عن رحابة الصدر و الهداية لأن في رحابة الصدر هداية من الله و في ضيق الصدر الظلال

"أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين"

زرعوا الصفات الحميدة في النفس هو طريق والخطوة الأولى للنجاة ان يجعل الانسان في نفسه صفات حميده طهارة في الروح فتكون هي الخطوة الاولى للتوفيق و الهداية و الصفات الحميدة، هي التي تستنهض العمل الصالح فيترتب على أثر صفات الطهر في النفس أعمال خيرة أعمال طاهرة و الصفات السيئة في النفس تعقبها اعمال سيئه.

كان مؤسس الحوزة  يقول: من السهل أن يصبح المرء طالب علم ولكن من الصعب ان يصبح انسانا، فجاء بعده الإمام و قال انا هذا القول ليس دقيقا بل الصحيح أن يقال: من الصعب أن يصبح المرء طالب علم ومن المستحيل ان يصبح المرء إنسانا، يعني غاية في الصعوبة والشدة وكأنه مستحيل ان يكون المرء انسان حقيقيا يفعل الانسانيه الحقيقيه في نفسه فيتجرد عن الأهواء وعن التعلق بغير الله سبحانه وتعالى.

روي عن سفيان الثوري قال: من اجل ان احصل على رحابة الصدر وضياء القلب ذهبت للامام الصادق سلام الله عليه كي اتغير لما هو الافضل ،يقول عندما جئت للامام و جلست مع الإمام وجدت أن الإمام لم يقبل عليه لم يهتم بي وقال للإمام انه مشغول عرفت أن الإمام لم يقبلني لانني عندي خلل فذهبت للنبي صلى الله عليه وآله و توسلت بالنبي صليت ركعتين عند النبي محمد صلى الله عليه وآله و توسلت به وقلت له اشفع لي عند الإمام الصادق ليقبلني الامام الصادق ثم عدت للامام الصادق فاستقبلني بحفاوة واهتمام وقال لي يا سفيان جئت لي ينشرح صدرك و ينور قلبك قال نعم جئت ذلك قال يا سفيان إن أردت أن ينشرح صدرك عليك أن تواظب على ثلاثه:

\*الاولى اعلم أنك عبد وهو مولى

\*اعلم علما حقيقيا مؤثرا و ليس علما نظريا بعيدا عن قلبك

\*اعلم أنك عبد وهو مولى لماذا يذهب سفيان للإمام لينشرح صدره لانه لا شك ان مجالسه الامام لها أثر مجالسة الصالحين ،لها أثر في صلاح الإنسان فكيف بمجالسة الإمام الصادق سلام الله عليه و التزود بحديث الامام و إرشاد الإمام وتنبيه الإمام و ألطاف الإمام يكفيه أجواء يجلسها الإنسان تنزل عليه الخير والبركات ،حتى هذا الجلوس في المساجد مع المؤمنين نفسه خير وبركه فكيف بمجالسة الإمام سلام الله عليه ،لذلك ينبغي من العاقل أن يبحث عن المجالس التي تربي التي ينشرح بها صدره تتفعل بها الخيرات والصفات الصالحه والحميدة في نفسه ويبتعد عن الأماكن التي فيها طمس للمبادئ الحقة وتفعيل للنزوات أو الشهوات أو الانحراف و يأتي للامام فيطلب منه أن ينشرح صدره فيقول الإمام أعلم أنك عبد وهو مولى ، اجعل نفسك في هذا الموضع أن تكون عبدا حقيقيا

قصة تذكر في هذا يقال: ان هناك مولى مديون عليه ديون كثيرة و هذه الديون أثقلته و جعلته في حيرة من أمره وعنده عبد فعبده مخلص رآه حزينا و قال له بعني وسدد بثمني ما عليك من الديون قال له انهم يطلبون الديون ومبالغ كثيرة و ثمنك لا يعادل شيء لا ينفع قال له اعرضني في السوق و قل لهم أنه يعرف معنى العبودية وحق العبودية فأخذه وجاء به الى السوق وعرضه بمبلغ مضاعف أضعاف فكلما مر شخص نظر استهزأ الى ان جاء شخص عاقل تاجر من الكبار عاقل فما هي مميزات هذا العبد قال انه يعلم و يعرف حق العبودية اشتراه بشرط انه يعرف الحق العبودية فإذا تبين انه لا يعرف ارجعه عليك قبل أخذ العبد و جعل يجلده و يضربه أمر بضربه يضربونه ولكنه لا يتكلم ولا يصرخ ولا يعترض ولا يسأل فقال له لماذا لا تعترض اوقفهم قال له ألا تتألم قال اتالم لماذا لا تتكلم لماذا لا تقول ان هذا الظلم ان هذا اعتداء عليك انه بدون سبب قال أنا عبد والعبد يطيع مولاه وليس للاعتراض على شيء سلم تسليما كاملا لمولاه فقبله، طبعا هذه القصة بين البشر ليست صحيحة أن يضرب شخص شخصا و يعتدي عليه مهما كان  فالبشر متساوون وليس لأحد أن يضرب أحد او يعتدي ولا يملك احد و اذا ملكه في الملك إنما هو ملك اعتباري يعني فيه الاستفادة من المنافع فقط وليس الاعتداء عليه اما الله سبحانه و تعالى فهو المالك الحقيقي و هو الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون و يجب على الإنسان حتى يكون موفقا وينشرح صدره أن يضع نفسه هذا الموضع موضع العبودية يعلم أنه عبد وهو مملوك حقيقه لله سبحانه وتعالى وليس اعتبارا وليس له شأن إلا بالله سبحانه و تعالى من هنا:

**اولا) حقيقة العبودية**

العبودية ملك و الملك الحقيقي هو الله والملك الحقيقي يعود لله سبحانه وتعالى أما بالنسبة لله سبحانه و تعالى فهو يملك ولا يسال فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون و لكن الله حكيم لا يفعل شيئا من اجل نفسه وانما من اجل الانسان و لا يشرع شيئا الا من اجل الانسان لماذا؟ لأنه غني والغني لا يحتاج فمهما كان لا يتصور أن يعود شيء على الله من الانسان لان الله كامل و غني مطلق فلا يعود عليه شيء فلا يمكن أن يتصور أن يشرع شيئا الا من اجل الانسان نفسه و لا يتصور أن يظلم انسانا او مخلوقا لأنه قوي وانما يحتاج الى الظلم الضعيف الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى ذلك.

**ثانيا) التشريع الإسلامي**

لنا أن نتعرف في بعض التشريعات على حكمها وعلى الفوائد منها يعني نجعل نفسنا موضع العبودية لله وإذا تساءلنا عن شيء إنما نتساءل من اجل ان يكون حافزا و محركا نحو الفعل ونحو الطاعة والا إذا لم اعلم قال لي ان شيء الفلاني حرام الخمر حرام و لم يخطر ببالي سبب هذه الحرمة أو خطر في بالي خطر خاطئ مثلا اقول لانه مسكر فاذا شربت شيئا بسيطا فهو ليس مسكر اذا ليس حرام و نقول خطأ حرم علي أن أطيع و لكن ما يذكر من بعض العلل او من بعض الحكم انما هو من اجل ان يكون حافزا و محركا للطاعة و ليس سببا وليس علة تامة ما يذكر في الأحكام كمعلوم مما يذكر في الأحكام عادتا إنما هو حكم من الأحكام و فوائد من الأحكام وليس عللا تامه.

**ثالثا) من فوائد العبودية**

من فوائد العبودية كثير منها:

* إن العبودية وقاية من الشيطان، العبودية لله وإخلاص العبودية لله سبحانه وتعالى يجعل الإنسان بعيدا عن الشيطان ولا يستطيع الشيطان ان يصل اليه قال سبحانه و تعالى عن لسان إبليس"فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين" العبد المخلص لله الذي أخلص هو فاخلص الله لنفسه لا يمكن ان يصل اليه الشيطان أبدا.

**رابعا) العبودية فخر الأولياء**

الأولياء يفتخرون نعم العبد انه اواب فيها فخر فيها كمال للإنسان أن يكون عبدا لذلك يقول أمير المؤمنين سلام الله عليه: كفى بي فخرا ان اكون لك عبدا، أن يكون عبدا لله يكفي هذا الفخر بل ليس هناك فخر للمخلوق اكثر من العبودية بل أكثر من ذلك.

**خامسا) العبودية أعلى من درجة النبوة**

العبد الحقيقي يفتخر حتى على النبوة إذا صار عبدا لله سبحانه و تعالى لذلك نتشهد في التشهد نقول اشهد ان محمد عبده و رسوله، قدمت العبودية على النبوة فهي بدرجة عالية اذا صار الشخص عبدا حقيقيا بل العبودية تكون محور التصور و التحكم في الوجود بعد الله سبحانه و تعالى كما في الحديث يقول: العبودية جوهرة كنهها الربوبية،والربوبية هي التحكم هي التصرف فيستطيع أن يفعل ما يريد اذا صار الشخص عبا فقدر ما يحقق من العبودية يحقق قدرة في التصرف في ما حوله، فالامام يقول لسفيان في كلمته الأولى: اعلم أنك عبد فهو مولى، اولا هذه اجعلها نظرية و افهمها واحفظها ثم اوصلها الى قلبك فاذا وصل الى القلب و وضعت نفسك في الخارج موضعها حققت هذه الخطوة الولى، الثانية واعلم أن لمولاك غضب كما أن له رضى و عليك ان تطيع مولاك،

الله سبحانه وتعالى ارحم الراحمين ولكنه أيضا شديد العقاب اعلم انه يرضى و اعلم انه يغضب انتبه لله انتبه إن لله غضب و كن حدرا من أن تجعل نفسك موضع غضب الله فتخسر وجودك باكمل الدنيا و الاخره لا ترتكب مخالفة لا تجعل نفسك موضع سخط الله تعالى لا تستصغر الذنب و لا تقول هذا ذنب صغير فإن الذنب مادام مخالفة الله سبحانه و تعالى فهو ذنب عظيم، تقول الرواية: يا عبدي لا تستصغر الذنب لأنك قد ترتكب ذنبا اخاطبك بعدا لم أغفر لك احذر من الذنوب لا نعلم ما هي الذنوب التي تجعل الانسان تخرج عن رحمة الله ولله سبحانه وتعالى أخفى تحديد الذنوب و عواقب الذنوب و ما يمكن أن يغفر وما يمكن أن يحبط الأعمال وما يمكن أن يشفع فيه يوم القيامة و ما لا تناله الشفاعة الله سبحانه و تعالى جعل ذلك مبهما لماذا؟

ليستقيم الإنسان لا يجعل له يقول الذنب الفلاني هذا يكون محل الشفاعة يوم القيامة فيرتكبه تأويلا على الشفاعة الله جعلها مبهما و حذر من الذنوب كلها حتى يبتعد الإنسان عن ذنوبه كلها فقد يكون هناك ذنب صغير كما في هذه الرواية يستصغره الانسان و ان لم يكن صغيرا في نفسه يستصغره الإنسان و يخاطبه الله تعالى بعده لن اغفر لك حرم من الغفران لأنه ارتكب هذا الذنب و تقول الرواية أيضا في الطرف المقابل: و لا تستخف بالثواب، بعض الأشياء البسيطة تقدمها و لا تستف بالثواب لأنك قد تقوم بثواب بسيط بعمل بسيط و على اثره يخاطبك، ياعبدي لقد وفقت و اصبحت سعيدا و يد عنايتي فوق راسك عمل بسيط ابتساما للمؤمن عمل صالح مساعده احد الوقوف بجنب احد واذا به يكون تحت عناية الله ورعاية الله.

***اولا- العبودية والطاعة***

من العبودية الاهتمام بالواجبات وترك المعاصي، عبودية لله يعبد الله منها أن يهتم بالواجبات لا يساوف في الواجبات في صلاة في طاعة في أعماله كلها وترك المعاصي في معاملته خصوصا مع الآخرين خصوصا بالتعامل لا تترك الصلاة ولا ترتكب ذنبا و اذا كان متعلقا بالآخرين فهو من الامور الكبيره والمشدد عليها فالعبودية ان يضع الانسان نفسه عبدا لله يرى نفسه مملوكا لله سبحانه وتعالى و يلتزم بالواجبات ويجتنب المعاصي كلها كلما علم أن هذا مخالفة أن هذا ذنب يجتنبه لا يصر عليه ابدا.

***ثانيا - الذنوب كلها كبيرة***

تقسم الذنوب إلى الكبائر والصغائر بعض العلماء كالامام رضوان الله عليه يقول: كلها كبيرة و ليس هناك ذنب صغير ومن يقسمها أيضا يقول لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار اذا استغفر الانسان ورجع عن ذنبه غفر الله له وإذا علم أن هذه معصية و يصر عليها فهي كبيرة و ان كانت بحسابهم انها صغيرة الإمام يقول كلها كبيرة وهي درجات وبعضها أكبر من بعض؛

-قصة الشاب التائب

النبي صلى الله عليه وآله يقال خرج في بعض الحروب و اوكل على المدينة أشخاص  ومنها شخص جعله في خدمة الناس هذا الشخص ذهب الى بيت صاحبه و را زوجته فمد يده إليها ولمسها المرأة مؤمنة صرخت النار النار يعني ماذا تصنع إن هذا هو النار فهو انتبه انتباها حقيقيا من اعماق قلبه وصرخ مثلها صرت الى جهنم وذهب يركض الى الصحراء و هو يصرخ النار و الى جهنم، نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وقال له ان هذا الشاب تائب وقبل الله توبته، لانه اخلص هنا ذنب و لكنه أخلص وصدق في توبته و فقال النبي لبعض أصحابه أن يأتوا به ، فجاءوا به وكان النبي صلى الله عليه وآله في الصلاة ويخطب في الناس وقرأ "الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم" سمع هذا الشاب وصعق ووقع على الارض حركوه اذا هو ميت، أثر التوجه  والإخلاص والتوبة لله سبحانه وتعالى لأنه علم أن هذا فعلا الى جهنم نزوى و شهوى لكنه التفت وتاب لله توبة صادقة؛

أما أن يستصغر الشخص الذنب فيكون الى جهنم لا محال إذا استصغر الشخص بذنبه فهو الى جهنم خصوصا ان كان متعلقا بالاخرين اذا كان له ربط بالآخرين فهذا أمر عظيم و ذكرنا كثيرا انا في التعامل مع الآخرين في بعض الاوقات يكون استهزاء وسخرية أو مزحه ولكن فيها جرح يذكر قصة الأستاذ الشيخ حسين المظاهري يقول عن شخص: ذهبت للطبيب فوجدته دخلت عليه امراه وقالت له لقد طبخت الوصفه التي كتبتها لي ولم استفد شربتها لم استفد قال طبختي الوصفه الورق التي عطيتك اياه قالت نعم فقال لها ان الاموال التي يعطيك اياها زوجك حرام عليك استهزأ بها فضحك من هو حاضر لأنه استهزء بها يقول انتظرت معه حتى فرغ المكان فقلت له ارتكبت ايها الطبيب ذنبا كبيرا اليوم ادت ذنوب ان عديتها لك منها انك استهزأت بمسلم و الاستهزاء بالمسلم كبيرة جئت بكلمة ولكن هذه الكلمة استهزاء و سخرت من هذه المرأة البسيطة على نيتها قالت هذه الكلمة اهنتهى واستهزأت بمسلم والرواية تقول يكتب على ناصيته آيس من رحمة الله، الذي يسخر من الآخرين و يستهزئ بهم شخص مريض عقله قاصر فيه ضعف بسيط جاء بكلام بسيط تستهزئ به يوم القيامة يكتب على ناصيته آيس من رحمة الله، اهنته وهو مطيع ماذا يوم القيامة تجني في مزحة من إهانة وليا لي فقد بارزني بالمحاربة، اهانة ولي من اولياء الله كأنما بارز الله جاء ليحارب الله نتيجته الخسارة من يحارب الله الله هو المنتصر إذا يخسر، جعل هذه الكلمة وهذا الاستهزاء ذنبا بسيطا في نظره ولكنه من أعظم الذنوب.

***الثالثة - أنت وما تملك لمولاك***

الإمام يقول لسفيان اجعل هذه الأمور الثلاثة نصب عينيك أنت وما تملك لمولاك، فأنت لا تملك شيئا لنفسك و إنما كل شيء عند الإنسان فهو لله سبحانه وتعالى إذا جعل هذه في نفسه تكن لها آثار تترتب عليها يكون الشخص صالحا لا يتوانى في أداء حقوق لانها ليست له كل شيء الى الله يراها لله سبحانه وتعالى اذا كانت فيه صفات رذيلة فيه صفات سيئه من بخل من غيرها تتزول فيكون القلب متعلقا بالله ليس فيها صفات التعلق بالدنيا والرذيلة يكون صالحا و يكون تقيا وليس موضعه هو الأساس فقد يكون في موضوع عظيم و قد يكون في موضع بسيط المهم انه لله أخلص لله.

قصه و اختم بها الكلام، ينقلها الشيخ وحيد الخراساني أحد المراجع الموجودين طول الله عمره يذكر هذه القصة يقول عن أحد العلماء: ان شابا  في الحوزة خادم في الحوزة يخدم في الحوزة ولكنه خلوق اخلاق عاليه في تعامله مع الناس يحرص على خدمة طلبة العلم والذين يقدمون الخدمة للدين و هو ليس طالب علم ولكن صفاته طيبه يواظب على صلاة الليل يواظب على الطاعات لا يعصي الله لا يخطئ يقول في ليلة من الليالي العالم ينقل للشيخ الوحيد الخراساني مررت على غرفته لغرفة هذا الخادم فوجدت هو يتحدث واعلم أنه ليس هناك شيء ليس معه أحد قلت له مع من تتحدث قصه غريبه ولكن الناقل الشيخ الوحيد الخراساني مع من تتحدث حاول أن لا يجيب اصر عليه فقال مع الامام المهدي سلام الله عليه، طبعا ما يدعى من سفارة موضوع اخر والنيابة وفي أحاديث لوحده ولكن هذه قصه منفصله و انما تشير الى التقوى فقط في هذا الجانب والالتزام  بالأخلاق الحسنة إلى أين تؤدي فقال اتحدث مع الإمام ماذا حدث قال الإمام اختارني ان اكون من الأبدال معه كيف يكون ومن أنت حتى تكون إنها التقوى والورع والإخلاص ومتى قال غدا ظهرا في الساعه الفلانيه ساعة مثلا الوحده الظهر يقول العالم راقبت هذا الخادم فصارت عيني عليه كلما تحرب جعلته أمام عيني حتى ارى الوعد و صدقه عدل يقول في نفس الساعة و هو في باحة المدرسة اختفى للأبد فلم يكن أمامي حاضر وإذا هو قد اختفى وصار مع الامام لانه متقي لانه صالح لانه زكى نفسه وتطهير النفس يجعل الإنسان مقبولا عند الله وعند اولياء الله

والحمد لله رب العالمين